المحاضرة الخامسة: الكتابة الصحفية وتطورها

تبين الق ارءة الفاحصة لتاريخ الإعلام أن م ارحل تطور الكتابة الصحفية لم تكن مجرد تحولات تقنية في أدوات النشر، بل مثلت صيرورة فكرية وبنيوية واكبت تطور المجتمعات الإنسانية وحاجتها المت ازيدة لتدفق المعلومات. فمنذ الكتابة البدائية والنش ارت الإخبارية اليدوية، مرارً بعصر النهضة الذي شهد ميلاد الصحافة المطبوعة، بدأت الكتابة الصحفية تتخلى تدريجيًا عن الطابع الأدبي والذاتي لتتبنى قوالب مهنية تقوم على الموضوعية والاخت ازل والدقة، وهو ما تجلى بوضوح في ظهور "الخبر" كبنية أساسية للعمل الصحفي مع تطور وكالات الأنباء العالمية. ومع الانتقال إلى العصر الرقمي والوسائط المتعددة، شهدت هذه الكتابة تحولًا جذريًا في قوالبها التحريرية، حيث فرضت السرعة والتفاعلية أنماطًا جديدة تتسم بالتكثيف البصري والتشعُّب النصي، مما جعل من الكتابة الصحفية تخصصاً مرناً يجمع بين عمق التحليل وسرعة التدفق، ويعيد تشكيل العلاقة بين النص والمتلقي في فضاء إعلامي مفتوح ودائم التغير.

1. تطور الصحافة عند الغرب

يعد التطور التاريخي للكتابة الصحفية مسا ارً متدرجًا ومعقدًا، متجذ ارً في الحاجة الإنسانية الأساسية للتوثيق والإعلام. وقد استعملت الكتابة "**كأداة لتبليغ الناس بما يحدث لأول مرة بشكل رسمي في مدينة روما عند أوج حضارتها، فلقد كان مجلس الشيوخ في مجلس المدينة يسجل مداولاته ثم يعلقها ليطلع عليها الجمهور، وكانت هذه التسجيلات تسمى بـ الأحداث العامة (Acta Diurna)**"[1]، مثلت هذه الممارسة الرومانية اللبنات الأولى لما عُرف لاحقاً بالصحافة، حيث شكلت نظاماً موثقاً وشفافاً نسبياً لتبادل المعلومات السياسية والاجتماعية مع الجماهير. هذه البدايات التاريخية تطورت عبر العصور لتتبلور في شكل قوالب مهنية حديثة للكتابة الصحفية، التي تسعى اليوم إلى الموضوعية والدقة والسرعة في بيئة إعلامية رقمية دائمة التغير.

---

[1] زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الج ازئر، ديوان المطبوعات الجامعية، الج ازئر ،2007، ص 15.

مثل القرن السابع عشر نقطة تحول محورية في تاريخ الإعلام المطبوع، حيث شهدت الساحة الأوروبية، لا سيما في هولندا وإنجلت ار، ظهور الصحف الإخبارية التي عُرفت باسم "الكوارنتوس "

(Corantos)، والتي كانت تشبه الج ارئد بمعناها الحديث إلى حد كبير. تطورت هذه المطبوعات من مجرد نش ارت تجارية مركزة على أخبار السفن ال ارسية وحمولاتها من البضائع – لتلبية حاجةالطبقة البرجوازية الناشئة للمعلومات الاقتصادية الدقيقة – إلى منصات إخبارية أشمل. ومع ت ازيدالطلب الجماهيري على المعرفة بالتحولات السياسية والعسكرية في القارة الأوروبية، سرعان ماأضافت "الكوارنتوس" أخبا اًر لا تتعلق بالأعمال التجارية حص اًر، مثل تغطية الحروب الدائرة في أوروبا الوسطى ومداولات البرلمانات. هذا التوسع في المحتوى، مقترن اً بانتظام الصدور الأسبوعي غالباً، جعل منها أولى "الج ارئد الحقيقية" بالمعنى الوظيفي، وأسهم في ترسيخ مفهوم الصحافة الدورية كآلية لنشر المعرفة وتشكيل ال أري العام [2].

شهدت الصحافة في القرن الثامن عشر قفزة نوعية في مسار تطورها، حيث ارتبط هذا الازدهار بشكل عض وي بسلسلة من الابتكا ارت التقنية التي أحدثت ثورة في صناعة النشر؛ إذ "**يعود تطور الصحافة في القرن 18 إلى ظهور الطباعة وتطورها خصوصا مع اكتشاف الحبر الخاص بالمطابع الذي يمتصه الورق ويجف بسرعة، وتم اختارع الطباعة الحجرية الخاصة بالكاريكاتير، لتتوالى الإختارعات التي كانت في كل مرة تسهل من عملية نقل المعلومات والأخبار**" [3] ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هذه الثورة التقنية مهدت الطريق لزيادة عدد النسخ المطبوعة وخفض تكلفتها ،مما ساعد على تحويل الصحافة من منشوارت نخبوية إلى وسيلة إعلامية جمارية واسعة الانتشار ،كما ساهم ظهور المطابع الحديدية لاحقاً في تعزيز قدرة الصحف على تغطية الأحداث المتلاحقة بسرعة أكبر، مما رسخ دورها كأداة أساسية في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي خلال تلك الحقبة المفصلية.

---

[2] ينظر: عبد الرحمان نشادي، محاض ارت في تكنولوجيا الإعلام والإتصال، الج ازئر ،2017-2018، ص 14.

[3] محمد فريد حمود عزت، مدخل إلى الصحافة، القاهرة ،1993، ص 14.

2. تطور الصحافة عند العرب

تضرب الجذور التاريخية لتدوين الأخبار في عمق التجربة العربية قبل الإسلام، حيث تجلت ملامح التواصل الإخباري في ظاهرة "المعلقات" التي لم تكن مجرد نصوص أدبية فحسب، بل مثلت في جوهرها وسيلة لنقل الوقائع وتسجيل الأحداث الكبرى. وبالرغم من الطابع الشعري الغالب عليها، إلا أنه يمكن اعتبارها بمثابة وثائق تتضمن أخبا اًر وحوادث عاصرها الشاعر في محيطه وسجلها بدقة ليبلغها للناس عبر الكتابة والتعليق. وتكتسب هذه المعلقات قيمة تنظيمية عالية لكونها كانتتعرض في "سوق عكاظ" ضمن نظام دوري محكم يُعرف بـ "الحوليات"، حيث كانت تنتخب وتعلقكل سنة لتصبح مرجعاً خبرياً وتاريخياً متاحاً للقبائل كافة، مما جعل منها أداة فاعلة في حفظ الذاكرةالجماعية ونشر أخبار العرب وأيامهم بأسلوب تدويني رصين يسبق القوالب الصحفية الحديثة في تخليد الحوادث وتوصيله .[4]

لم تتبلور ملامح الصحافة العربية الحديثة إلا مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وذلك نتيجة للاحتكاك المباشر مع الاستعمار الغربي وما حمله من أدوات تقنية وثقافية. ويُعزى هذا التأخر في الظهور بالدرجة الأولى إلى طبيعة المنظومة الاتصالية في المجتمع الإسلامي، التي ارتكزت تقليدياً على الرواية الشفوية والذاكرة السمعية المرتبطة بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وفنون الخطابة. كما لعب الموقف السياسي والديني للسلطة العثمانية دوراً حاسماً في هذا السياق؛ حيث اتخذ العلماء والخلفاء العثمانيون موقفاً معارضاً لاستعمال المطبعة كأداة للنسخ حتى نهاية القرن الثامن عشر، وظل هذا الموقف متحفظاً في بدايات القرن التاسع عشر خشية المساس بقدسية المخطوطات. ومن المفارقات التاريخية أن الحروف المطبعية العربية صُنعت لأول مرة خارج ديارها، وتحديداً في إيطاليا سنة 1514 من قبل المسيحيين بهدف طبع الإنجيل، ثم تلا ذلك طبع كتب عربية في الطب كـ "قانون ابن سينا" وفي النحو كـ "الأجرومية"، وذلك لتيسير تعلم اللغة العربية لرجال الكنيسة والمنصرين، مما يعكس الفجوة التقنية التي كانت قائمة قبل دخول المطبعة رسمي اً إلى الفضاء العربي وتأسيس الصحافة الوطنية[5].

---

[4] ينظر: زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الج ازئر، ص 15.

[5] ينظر: زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الج ازئر، ص 19 ص 20.

لعبت الظروف السياسية دوراً حاسماً في رسم ملامح المشهد الإعلامي العربي حيث **"ساهمت**

النزعة الاستعمارية بشكل كبير في تشكيل الصحافة حيث بدأ ظهورها بالنشارت الحكومية الرسمية في نهاية القرن 19 وكان للبعثات التبشيرية نصيب أكبر في تكوينها" [6]، وبالرغم من أن هذه البدايات كانت مرتبطة بأجندات القوى الخارجية، إلا أنها وفرت الأرضية التقنية والمهنية التي مهدت لبروز صحافة وطنية لاحقا؛ فمع نضوج الحركات التحررية ووصول الص ارعات العالمية إلى ذروتها، شهدت الوظيفة الإعلامية تحولاً اردیکالیاً، إذ بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الصحف وسيلةللتعبير عن الوعي القومي وتعبئة الشعب حول ضرورة النضال .وهكذا تحولت الصحافة من أداةإدارية في يد السلطات الاستعمارية أو التبشيرية إلى منبر للمقاومة الفكرية والسياسية، مما جعلهافاعلاً أساسياً في استنهاض الشعوب العربية وتشكيل هويتها الوطنية الساعية إلى الانعتاق والاستقلال.

تأسيساً على ما سبق، يمكن استخلاص أن م ارحل تطور الكتابة الصحفية مثلت مسا اًر تكاملياً انتقل بالخبر من مستوا ه **التوثيقي البدائي** إلى مستوا ه **المؤسساتي المحترف** .فقد بدأت هذه الصيرورة بإرهاصات تاريخية اعتمدت على "التدوين والتعليق" كما في "الأحداث العامة" بروما أو "المعلقات والحوليات" عند العرب، حيث كانت الكتابة أداة للحفظ والإبلاغ العام. ثم جاءت النقلة النوعية مع **الثورة التقنية** في القرنين السابع عشر والثامن عشر، التي حوّلت الكتابة من نمط "الكوارنتوس" التجاري إلى قوالب الج ارئد الحقيقية، مدفوعة بابتكا ارت المطابع والحبر السريع والرسوم الكاريكاتورية ،مما أضفى على النص الصحفي صبغة الجماهيرية والسرعة.

أما في السياق العربي، فقد كان المخاض عسي اًر ومرتبطاً بصدمة الحداثة والاحتكاك مع الغرب في القرن التاسع عشر، لينتقل القلم الصحفي من "النش ارت الرسمية" و"المنشوارت التبشيرية" إلى **صحافة النضال والوعي القومي** عقب الحرب العالمية الثانية. وبوصولنا إلى العصر ال ارهن في عام **2026**، نجد أن الكتابة الصحفية قد بلغت مرحلة "النص الذكي والتفاعلي"، حيث تداخلت

---

[6] عواطف عبد الرحمان، مقدمة في الصحافة الإفريقية، كتب إفريقية، القاهرة ،1980، ص178.

الكلمة مع الوسائط الرقمية والذكاء الاصطناعي، لتظل الكتابة في جوهرها هي الأداة الأكثر مرونة في توثيق التحولات التاريخية وصناعة ال أري العام عبر العصور.